المبحث السابع

مواقف لرجال اشتهروا بالأناة والحلم

إن الأناة خير عظيم ، من يرزقه فقد رزق خيراً كثيراً ، ومن يحرمه فقد حرم خيراً كثيراً ، ويمكن للإنسان إن لم يكن في جبلته شيء من أناة أن يحاول اكتساب هذا الخلق العظيم ، ويعينه على ذلك الاستفادة من تجارب الحياة ، والنظر في عواقب الأمور ، وكذلك التأسي بأهل الأناة واقتفاء أثرهم في الحياة ، ومن العجز التام ألا يحاول الإنسان اكتساب الأخلاق الحسنة ، ويأبى بغير طبعه معتذراً متذرعاً بأنه (هو كده) لا يستطيع أن يتغير .

ولقد وردت عن النبي ﷺ عدة أحاديث يمدح فيها خلق الأناة ، وما يشتق عنه من معانٍ كالرفق والحلم والتؤدة والحكمة ونحوها ، لو قرأها إنسان صاحب يقين لتركت فيه أثراً طيباً ، وحاول ترويض نفسه على ذلك الخلق الذي يكسو صاحبه مهابة وجلالة ، ويعلي قدره عند الله وعند الناس ، ونذكر طرفاً من هذه الأقوال الصادقة عمن جاء ليتمم مكارم الأخلاق ثم نتبعها ببعض مواقف لرجال وعوها فرزقوا هذا الخلق العظيم .

ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة :

[١] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف**)[١] .

[٢] وعن خالد معدان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (**إن الله رفيق يحب الرفق ،**

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد برقم (١٢٦٣٩الأب ٨ / ٤٢٠) وقال : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وأبو خليفة لم يضعفه أحد . وأورد بعد ذلك له عده شواهد , وله شاهد في مسلم (٢٥٩٣) .

ويرضاه ، ويعين عليه مالا يعين على العنف) [١] .

[٣] عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **(إذا أراد الله بقوم خيراً أدخل عليهم الرفق)** [٢] .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال **(التأني من الله والعجلة من الشيطان ، وما أحد أكثر معاذير من الله ، وما من شيء أحب إلى الله من الحمد)** [٣] .

[٤] وروى أيضاً : **(من تأني أصاب أو كاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد)** [٤] .

[٥] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس : **(إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله ، الحلم والأناة)** [٥] .

[٦] وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **(التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة)** [٦] .

[٧] وعن عبد الله بن سرجس المزني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **(السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة)** [٧] .

وهذا غيض من فيض ، وهذه الأقوال الصادقة وأمثالها أثرت في رجال فبدوا

---

(١) انظر مجمع الزوائد برقم (١٢٦٤٥) ك الأدب ٨ / ٤٢ (وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح) ، وهو معجم الطبراني الكبير برقم (٧٤٧٧) .

(٢) انظر مجمع الزوائد برقم (١٢٦٥) ك الأدب ، وقال : (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح) ٨ ٤٣ / وهو في البزار برقم ١٩٦٥ (وهو في مسلم برقم (٢٥٩٣) بلفظ (بأهل بيت) .

(٣) انظر مجمع الزوائد برقم (١٢٦٥٢) ك الأدب ، وقال : (رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٥) .

(٤) رواه الطبراني في الكبير ١٧/٣١٠ ، (من حديث شيخه بكر بن سهل , وضعفه النسائي) انظر مجمع الزوائد ٤٤٨ .

(٥) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح سُنن الترمذي برقم ٢٠١١ .

(٦) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح سُنن أبي داود برقم ٤٨١٠ ك الأدب ، وصححه الألباني في صحيح سُنن الترمذي برقم (٢٠١٠) ك البر .

(٧) رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ٢٠١٠ ، ك البر .

غاية في الحكمة وصدرت عنهم مأثورات يمدحون فيها الأناة ويذمون العجلة .

ومن تلك الأقوال :

[١] **قال الحسن بن عليّ** رضي الله عنهما : (اعلموا أن الحلم زينة ، والوفاء مروءة ، والعجلة سفه ، والسفه ضعف ، ومجالسة أهل الدناءة شين ، ومخالطة أهل الفسق ريبه) [١] .

[٢] **وقال ابن حبان - رحمه الله - :** (لا يستحق أحد اسم الرئاسة حتى يكون فيه ثلاثة أشياء : العقل والعلم والمنطق ، ثم يتعرى عن ستة أشياء : عن الحدّة ، والعجلة ، والحسد ، والهوى ، والكذب ، وترك المشورة .

[٣] **وقال - أيضاً - :** (العجلة موكل بها الندم ، وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة ، واستفاد مذمة ، لأن الزلل مع العجل) .

[٤] **وقال ابن الأعرابي - رحمه الله - :** (كان يقال : لا يوجد العجول محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الملول ذا إخوان ، ولا الحر حريصاً ، ولا الشره غنياً) .

[٥] **وقال الراغب الأصفهاني - رحمه الله - :** (العجلة طلب الشيء قبل أوانه ، وهو من مقتضى الشهوة ، ولذلك كان مذموماً على العموم في القرآن الكريم ، وقد قيل : العجلة من الشيطان) .

[٦] **وقال خالد بن برمك - رحمه الله - :** (من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق ألا ينزل به كيد مكروه، العجلة واللجاجة والعجب، والتواني ، فثمرة العجلة الندامة ، وثمرة اللجاجة الحيرة ، وثمرة العجب البغضة ، وثمرة التواني الذل ..) [٢] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٥٧ / ٣

(٢) انظر الأقوال في : الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب ٣ / ١٢٣٣ - ١٢٣٤ .

[٧] **وقيل** : (في العجلة الندامة، وفي التأني السلامة) .

وهذه الأقوال لم تصدر عن قائليها اعتباطا . وإنما من خلال تجارب الحياة ، وإليك طرفاً من مواقف بعض الرجال ، الذين اشتهروا بالحلم والأناة .

مواقف لرجال اشتهروا بالحلم والأناة :

موقف أشج [١] **عبد القيس** ،وكان يسمى المنذر بن الحارث بن زياد بن عصر من عبد القيس[٢] . وقيل المنذر بن عائذ لما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ قام في استقبالهم ـ قبل أن يصلوا إليه ـ عمر بن الخطاب فقال ممن القوم ؟ .

قالوا : من عبد القيس ، قال : فما أقدمكم لهذه البلاد ؟ التجارة ؟ .

قالوا : لا . . قال : فلعلكم قدمتم في طلب هذا الرجل ؟ .

قالوا : أجل ، فمشى معهم يحدثهم حتى نظر إلى النبي ﷺ فقال : هذا صاحبكم الذي تطلبون .

فرمى القوم بأنفسهم عن رواحلهم ، فمنهم من سعى سعياً ، ومنهم من هرول هرولة ، ومنهم من مشى مشياً ، حتى أتوا رسول الله ﷺ فأخذوا بيده يقبلونها وقعدوا إليه .

و بقى رجل منهم يقال له الأشج ـ وهو أصغر القوم ـ فعقل راحلته ، وعمد إلى رواحل إخوانه فعقلها وأناخها راحلة وجمع متاع القوم . ثم عمد إلى عيبته فأخذ منها ثوباً لبسه ونزع ثياب السفر ومسح لحيته بدهن ووضع سلاحه ، ثم أقبل يمشي على تؤدة ، حتى أتي رسول الله ﷺ فأخذ يده فقبَّلها ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله** » .

قال الأشج : ما هما يا رسول الله ؟ .

---

(١) الأشج : الشج هو الجرح في الرأس أو الوجه ، انظر لسان العرب ٧ / ٣٢ .

(٢) انظر ترجمته في : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ١ / ١١٤ ترجمة برقم (١٨٠) ط دار المعرفة ـ بيروت ٢٠٠١ .

قال : **الأناة والحلم** ، (وفي رواية : **الأناة والتؤدة**) .

قال : الأشج : فأنا تخلقت بهما أم الله جبلني عليهما ؟ .

قال : **بل الله جبلك عليهما** .

قال الأشج : الحمد لله الذي جبلني على خُلقين يحبهما الله ورسوله .

فدعا لهم النبي ﷺ قائلاً : **(أسلمت عبد القيس طوعاً وأسلم الناس كرهاً ، فبارك الله في عبد القيس)** .

فكانت ضيافة رسول الله ﷺ تجرى على وفد عبد القيس عشرة أيام ، وكان الأشج يُسائل رسول الله ﷺ عن الفقه والقرآن فكان رسول الله ﷺ يدنيه منه إذا جلس .. وأمر رسول الله ﷺ للوفد بجائزة ، وفضّل عليهم الأشج فأعطاه اثنتى عشرة أوقية .. وكان ذلك أكثر ما كان رسول الله ﷺ يجيز به الوفد [١] .

فانظر في هذا الموقف الرائع بتدبر وعمق :

الأشج في أناته وتؤدته : عندما وصلوا تعجل القوم ملاقاة النبي ﷺ شوقاً إليه . فألقوا بأنفسهم عن رواحلهم وسعى الساعي ومشى الماشي وهرول المهرول ، وتناثرت أمتعتهم ،وأقبلوا عليه بشعثهم وسلاحهم .

ولم يكن الأشج أقل منهم شوقاً لملاقاة النبي ﷺ ولكنه بأناته وحلمه وعقله نظر بعمق فرأى :

﴿ **أ** ﴾ أن القوم قد تركوا رواحلهم على تلك الحالة دون أن يعقلوها ، فلربما شردت عليهم ، فعمد إليها فعقلها ، ليس راحلته فقط ، وإنما رواحل كل الجماعة التي كانت معه راحلةً راحلة ـ كما في الرواية السابقة ـ .

﴿ **ب** ﴾ أن المتاع قد تناثر هنا وهناك ، فرأى أنه إن ترك هكذا فلا يؤمن عليه من أن يضيع .

---

(١) انظر هذا الموقف ملخصاً من : الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ / ٢٨٥ – ٢٨٦ ترجمة برقم (١٩٧٠ عجم الكبر للطبراني ٥٢٠٨ ومسند أبي يعلى (٦٨٥٠) .

﴿ جـ ﴾ ثم نظر الأشج ـ وهذا هو الأهم ـ على من يقدم ، إنه يقدم على النبي ﷺ صاحب المقام المحمود ، والشأن الرفيع ، الذي أمر الله المؤمنين بالتأدب معه ، وبتقديم صدقة عند ملاقاته ومناجاته تأدباً معه وتعظيماً له ـ ﷺ ـ حيث قال تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذين آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقدِّمُوا بين يدي نَجْواكُمْ صَدَقَةً ذلكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فإن لَمْ تجدُوا فإنَّ اللَّه غفُورٌ رَحيمٌ (١٢) ﴾ [المجادلة : ١٢].

فرأى الأشج أنه ينبغي أن يتهيأ لملاقاته، فنزع عنه ثياب السفر،وأزال شعثه ، وأخذ ثياباً حساناً نظيفة كانت معه فلبسها ، ونزع سلاحه ثم دخل على النَّبيّ ﷺ في تلك الهيئة .

■ إن الذي جعل الأشج يتوصل إلى كل هذا التفكير العميق والمرامي البعيدة في شأن نفسه وفي شأن جماعته وفي تعظيم رسول الله ﷺ والتأدب معه والتهيؤ للقائه هو الأناة والحلم،ولو تعجل كما تعجلت رفقته لما ظفر بشيء من هذا كله.

■ ولذلك أُعجب به النبي ﷺ فميزه على القوم في العطية ، وقرَّب مجلسه منه وأدناه عندما كانوا يجلسون إليه ، وأخبره بأنه قد توفر فيه خصلتان يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة .

وكيف لا يُعجب النبي ﷺ بأصحاب الأناة والحلم ، وهو الذي مدحهما كخُلقين فاضلين كما رأينا في الأحاديث السابقة .

وكان موقف الأشج هذا موقفاً تعليمياً ودرساً بليغاً قد يتعلمه منه إخوانه ، وهذا هو أحد الوفد الذي كان معه ، يقال له الزراع : قال :

(يا نبي الله بأبي وأمي جئت بابن أخ لي مصاب لتدعو الله له وهو في الركاب، قال : فأت به : فأتيته ، وقد رأيت الذي صنع الأشج ، فأخذت عيبتي [١] ، فأخرجت منها ثوبين حسنين وألقيت عنه ثياب السفر ، وألبستهما إياه ، ثم

---

(١) عيبتي : العيبة ما يعجل فيها الثياب ، لسان العرب ٩ / ٤٩٠ .

أخذت بيده فجئت به النبي ﷺ . . .) [١] .

ولاشك أن الجميع رمقوا صنيع الأشج ورأوا إعجاب النبي ﷺ به ومدحه على أناته وحلمه فوعوا الدرس جيداً

مواقف لعمربن عبد العزيز بن مروان :

اشتهر عمر بن عبد العزيز بالأناة والحلم والورع والتقوى وبصدق المشورة وسداد الرأي ، وكثيراً ما كان يستشيره الوليد بن عبد الملك وسليمان في خلافتيهما .

(حتى آلت إليه الخلافة . ، وأراد أن يعود بالحياة إلى هدى الخلفاء الأربعة ، وذلك بعد أن يتمكن ويمسك بجميع الخيوط في يديه ، ولكن كان ابنه الشاب الغيور المتحمس (عبد الملك) من الأتقياء المتحمسين ينكر على أبيه عدم إسراعه في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم والتعفية على آثارها .

قال له يوماً : مالك يا أبت لا تنفذ الأمور ؟، فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق ، فكان جواب الأب الفقيه المؤمن قال : لا تعجل يا بني ، فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن الكريم مرتين ، وحرمهما في الثالثة ، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق فيدعوه جملة ، فيكون من ذا فتنة) [٢] .

فانظر في هذا الموقف الرائع إلى أناة أمير المؤمنين عمر بن العزيز ـ رحمه الله ـ وكيف وضح أن الأناة والتؤدة التي أصبحت من سماته تكونت لديه من فهمه لسُنن الله في كونه ،ومنها سُنَّة التدرج .

والتدرج بالناس في أي أمر يحتاج إلى أناة و صبر ، لذلك رد على ابنه

---

(١) انظر مجمع الزوائد برقم (١٦٠٦١) ك المناقب ٩ / ٦٤٩ .

(٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف : للشيخ القرضاوي ص ٤ أما بعدها , وانظر أيضاً عمر بن عبد العزيز: للدكتور/ محمد على طنطاوي ص ١٨ ، ١٩ ط المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٩٨٣ .

المتحمس إلى محو أثار العوج والانحراف وإصلاح ما فسد : (لا تعجل فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين ثم حرمها في الثالثة) .

ثم بيّن لولده خطورة التعجل في الرجوع بالناس إلى الحق مرة واحدة ، وذلك لأنه بمضي السنين ربما ألف بعض الناس هذا الانحراف فلا بد من التدرج معهم في ردهم إلى الصواب ، لأنهم إن حملوا على الحق مرة واحدة ربما تركوه جملة فيكون من هذا فتنة عظيمة .

موقف آخر لعمر بن عبد العزيز بن مروان :

يحكيه رجاء بن حيوة أحد المقربين منه يقول : (سمرت عند عمر ليلة ، فانطفأ السراج وإلى جانبه غلام قد نام ، قلت : أفلا أنبهه ليصلح السراج ؟) .

قال : لا دعه ، قلت : أنا أقوم يا أمير المؤمنين لأصلحه .

قال : ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه، فقام إلى السراج فزوده بالزيت وأصلحه ثم رجع وقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن العزيز) [١] .

فلم يتعجل إيقاظ الخادم ولا معاقبته ، وإنما قام فأصلح السراج بنفسه .

مواقف للأحنف بن قيس :

اشتهر الأحنف بالحكمة والأناة ، والتعقل وله مواقف كثيرة منها :

[١] مارواه الشعبي قال : أوفد أبو موسى الأشعري وفداً من البصرة إلى عمر ابن الخطاب منهم الأحنف بن قيس ، فتكلم كل رجل في خاصة نفسه ، وتأخر الأحنف حتى تكلم آخر القوم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا أمير المؤمنين : فإن أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه ، وإن أهل الشام نزلوا منازل

---

(١) سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي ٤ / ٤١٢ ، ٤١٣ ترجمة برقم (٨٠٠) ط مكتبة الصفا، القاهرة ٢٠٠٣ .

قيصر وأصحابه وإن أهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الأنهار والجنان ، وفي مثل عين البعير وكالحوار في السلى ، تأتيهم ثمارهم قبل أن تبلغ ، وإن أهل البصرة نزلوا في أرض سبخة زعقة . . لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها ، طرفها في بحر أجاج وطرف في فلاة ، لايأتينا شيء إلا في مثل حلقوم النعامة ، فأرفع خسيستنا ، وانعش وكيستنا ، وزد في عيالنا عيالاً ، وفي رجالنا رجالاً ، وصغّر درهمنا وكبر قفيزنا ، ومر لنا بنهر نستعذب منه ، فقال عمر : عجزتم أن تكونوا مثل هذا ، هذا والله السيد [١] .

فانظر: المتعجل في وقت الشدائد إذا ظفر بالسلطان لم يذكر إلا حاجة نفسه ، لأن هواجسه تحدثه أنها الفرصة ، وقد لا تأتي مرة أخرى ، أما أهل الأناة و ا لعقل فإن الحكمة منطقهم ، إذا تحدث ذكر حاجة الناس وهو من الناس وهذا ما فعله الأحنف بن قيس رضي الله عنه لما تمهل وتأنى فتحدث آخر القوم ، جاء ببليغ الكلام الذي أدى الغرض أبلغ ما يكون ووقع في نفس أمير المؤمنين موقعاً حسناً أعجبه حتى أقسم أنه (السيد) أي سيد قومه . ويتعلم الداعية المتأني من هذا الموقف أنه إذا خاطب السلطان فلا تشغله حاجة نفسه عن حاجات الناس يرفعها إلى السلطان ، وأن الكلام المحكم المتقن له أثره في النفس إذا صاحبه إخلاص .

[٢] حدث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر بني تميم فذمهم ، فقام الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي قال : تكلم ، قال : إنك ذكرت بني تميم فعممتهم بالذّم ، وإنهم من الناس ، فيهم الصالح والطالح فقام رجل يقال له الحتات ، وكان يناوئه ــ فقال : يا أمير المؤمنين ائذن لي فلا أتكلم ، فقال عمر : اجلس فقد كفاكم سيدكم الأحنف) [٢] .

---

(١) سير أعلام النبلاء : لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ٤ / ٤٨ ط مكتبة الصفاء ــ القاهرة ٢٠٠٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٩ بتصرف .

[٣] وقال الأحنف : (ثلاث فيّ ما أذكرهن إلا لمعتبر : ما أتيت باب سلطان إلا أن أدعى، ولا دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما ، وما أذكر أحداً بعد أن يقوم من عندي إلا بخير) [١] .

[٤] وقال : (من أسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه مالا يعلمون) [٢] .

[٥] وقيل : (إن رجلاً خاصم الأحنف ، وقال : لئن قلت واحدة لتسمعن عشراً ، فقال له الأحنف : لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة) [٣] .

[٦] وروى الأصمعي : (أن الأحنف بن قيس ذهب إلى قوم في دم. فتكلم فيه . وقال :احتكموا ، قالوا : نحتكم ديتين ، قال الأحنف : ذاك لكم . فلما سكتوا قال : أنا أعطيكم ما سألتم ، فاسمعوا : إن الله قضى بدية واحدة وإن النبي ﷺ قضى بدية واحدة ، وإن العرب تعاطى بينها دية واحدة ، وأنتم اليوم تطالبون ، وأخشى أن تكونوا غداً مطلوبين ، فلا ترضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم ، فقالوا : قبلنا دية واحدة) [٤] .

وله مواقف كثيرة في الأناة و الحلم حتى قال الحافظ ابن حجر : (كان يضرب بحلمه المثل . . قال له رجل يوماً : بم سدت قومك وأنت أحنف أعور ؟ .

فقال له :بتركي مالا يعنيني من أمرك كما عناك من أمري مالا يعنيك) [٥] .

موقف لحاتم الأصم :

وكان حاتم الأصم قليل الكلام ذو أناة ، فقيل له في ذلك فقال : إني لا أحب أن أتكلم كلمة قبل أن أعدّ جوابها لله ، فإذا قال الله تعالى لي يوم القيامة

---

(١) المرجع السابق ٤ / ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ٤ / ٥٠ .

(٣) المرجع السابق ٤ / ٥٠ .

(٤) المرجع السابق ٤ / ٥٠ بتصرف .

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر ١ / ١٥٤ ترجمة برقم ٤٢٦ ط دار الفكر ـ بيروت ٢٠٠١ .

لم قلت كذا ؟ قلت يا رب : لكذا) [١] .

موقفان للحسن البصري ـ رحمه الله ـ :

وكان الحسن البصري ـ يختار الصمت لنفسه ـ ولزوم الصمت يدل على مدى ما في الإنسان من حلم وأناة ، وكان يقول : (كانوا يقولون إن لسان الحكيم من وراء قلبه ، فإذا أراد أن يقول ، يرجع إلى قلبه ، فإن كان له قال وإن كان عليه أمسك ، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع إلى القلب فما أتي على لسانه تكلم به) [٢] .

وانظر إلى أناته وحلمه ـ أيضاً ـ قيل له : (إن فلاناً يغتابك ويقع فيك فقال : ائتوني بطبق من رطب فجاءوه، فوضع عليه منديلاً ، وقال :اذهبوا به إلى فلان ـ الذي يغتابه ـ وقال : إنه أهدى إليَّ حسناته) [٣] .

موقف لأبي الهذيل العلاف المعتزلي :

جاء يهودي إلى البصرة وطلب مناظرة علمائها من المسلمين ، فخرج إليه غير واحد من المسلمين فتغلب عليهم ، ثم خرج له أبو الهذيل العلاف ـ من رؤوس المعتزلة ـ فناظره ، قال اليهودي لما رآه تتكلم أم أتكلم ؟ .

- فقال أبو الهذيل : بل تكلم ، فقال اليهودي : ما تقولون في التوراة ؟ .
- قال أبو الهذيل : إن كانت هي التي أخبرنا عنها نبينا وورد في القرآن ذكرها فنحن نؤمن بها ونصدقها ، وإن كانت غيرها فلا .
- قال اليهودي : ما تقولون في موسى ؟ ، قال أبو الهذيل : إن كان هو الذي أخبرنا عنه نبينا وورد في القرآن ذكره فنحن نؤمن به ونصدقه ، وإن كان غيره فلا ، وجعل اليهودي كلما سأله سؤالاً أجابه فأفحمه .

---

(١) تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي ٨ / ٢٤٥ .

(٢) الزهد لعبد الله بن المبارك ص ١٣١ .

(٣) إحياء علوم الدين : للغزالي .

■ قال أبو الهذيل: فدعاني اليهودي وقال: أريد أن أسرَ إليك شيئاً ، فاقترب منه أبو الهذيل ، وكان اليهودي خبيثاً لما فشل في مناظرته أراد أن يخرج منها منتصراً ، ففكر في أن يثير أعصاب مناظره العلاف فيتعجل فيضربه أو يشتمه ويشاع أنه لما أفحم المسلمين ضربوه ، ولكن أبا الهذيل العلاف كان حكيماً متأنياً متعقلاً ، وقف في كل هدوء بعد أن أسر إليه اليهودي ، وقال : أتدرون ماذا قال لي اليهودي : إنه يسبني بأمي .

موقف للحسن بن علي رضي الله عنه :

لما دُس السم للحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه أخوه الحسين رضي الله عنه فقال له : أي أخي : أنبئني من سقاك ؟ .

قال الحسن : لم ، لتقتله ؟ ، قال الحسين : نعم .

قال الحسن : ما أنا محدثك شيئاً ، إن يكن صاحبي الذي أظن فالله أشد انتقاما ، وإلا فو الله لا يقتل بي بريئ [١] .

موقف لأبي القاسم بن مسلمة الوزير العباسي :

جاء اليهود الخيابرة إلى الوزير أبي القاسم بن مسلمة ـ أحد وزراء بني العباس ـ في القرن الخامس الهجري ـ بكتاب زعموا أنه من النبي ﷺ وفيه إسقاط الجزية عنهم ، فلم يتعجل بالفصل في المسألة . وإنما تأنى ورد الأمر إلى أهله ، ودفع الكتاب إلى الحافظ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) شيخ علماء بغداد ومؤرخها ومحدثها ، فنظر فيه ثم قال : هذا كذب ، فسأله الوزير : وما الدليل على كذبه ؟

قال : لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر ، وقد كانت خيبر سنة سبع وأسلم معاوية يوم الفتح ، وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات قبل يوم خيبر عام الخندق سنة خمس ، فأعجب الناس ذلك وتوقف الوزير

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٦٣ .

عن العمل بالكتاب [١] .

أرأيت لو أن هذا الوزير استعجل ، ونفذ ما في الكتاب من غير أن يرد الأمر إلى أهله فما تكون النتيجة ؟ إن النتيجة هي تعطيل نص صريح من كتاب الله عز وجل بغير دليل و لا برهان ، إذ يقول الله تعالى :﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** (٢٩) ﴾ [التوبة : ٢٩] [٢] .

موقف لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه :

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أراد يوماً أن يقوم في موسم الحج خطيباً ليفند لغطاً لغط به بعض الجهال حول بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأحداث السقيفة ، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين : لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغائهم ، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك ، حين تقوم ، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير ، وأن لا يعوها ، وأن لا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسُّنَّة ، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكناً ، فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على مواضعها .

فقال عمر : أما والله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة [٣] .

فتأمل موقف عبد الرحمن بن عوف عندما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وما عزم عليه من القيام خطيباً في الناس ليصحح بعض الأخطاء التي أشيعت حول بيعة أبي بكر وما حدث يوم السقيفة، فرأى عبد الرحمن أنه لو تكلم في هذا

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ١٢ / ١١٠ – ١١١ بتصرف .

(٢) آفات على الطريق: د / السيد محمد نوح ٢ / ١٦١ ، ١٦٢ ط دار الوفاء ـ المنصورة ١٩٨٨ والآية من سورة التوبة ٢٩ .

(٣) البخاري ٨ / ٢٠٩ .

الجو المفتوح الذي قد يكون فيه المغرضين والسذج والرعاع من العامة قد يحدث مشكلة عظيمة،حيث يتلقف أصحاب شهوة الرياسة نقد الثقات،ويضخمون الأمور ويحملونها مالا تحمل، فنزل عمر على رأي عبد الرحمن بن عوف [١] .

موقف لحكيم متأنٍ يخمد فتنة :

شيخ رزقه الله الأناة والحكمة كانت كلماته من أهم أسباب إخماد فتنة القول بخلق القرآن ، جئ به إلى الواثق الخليفة العباسي مقيداً في الحديد، فال له ابن أبي دوءاد (رأس هذه الفتنة) . يا شيخ : ما تقول في القرآن ؟ أمخلوق هو؟، فقال له الشيخ: لم تنصفني المسألة، أنا أسألك قبل الجواب :

هذا الذي تقوله يا ابن أبي دوءاد من خلق القرآن شيء علمه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعثمان رضي الله عنهما أو جهلوه ؟ .

فقال : بل علموه .

قال : فهل دعوا إليه الناس كما دعوتهم أنت أو سكتوا ؟ .

قال : بل سكتوا .

قال : فهلا وسعك ما وسعهم من ا لسكوت ؟ .

فسكت ابن أبي دوءاد ، فأعجب الواثق : بكلامه ، وأمر بإطلاق سبيله .

وقام الواثق من مجلسه وهو يقول : هلا وسعك ما وسعهم ـ يكرر هذه الكلمة ـ .

قال الإمام السبكي معلقاً على الموقف وكان ذلك من الأسباب في خمود الفتنة [٢] .

---

(١) انظر العوائق : للأستاذ / محمد أحمد الراشد ص ١٦٣ ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٩ م.

(٢) طبقات الشافعية : للسبكي ١ / ٢١٥ .

وانظر : ا لمصفي من صفات الدعاة : لعبد الحميد البلالي ١ / ١٠٨ , ١٠٩ ط دار الدعوة الكويت ١٩٩٨ م .

وليست العجلة والخصومة والجدال وعلوّا الصوت فإن هذا لا تزيد الفتنة إلا اشتعالاً .

هذه مجموعة من المواقف قصدت من عرضها أن يقف كل من في نفسه عجلة متفكراً فيها كيف ضبط هؤلاء أنفسهم وملكوا زمامها وقادوها ؟ وكيف قوبل تريثهم وتأنيهم بالتقدير والتبجيل من المجتمع حولهم ، ومن الممكن للإنسان أن يكتسب الأخلاق والخصال لو حاول أن يتخلق على حدّ قول القائل :

تشبهوا بالرجال إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاحُ

وفي المبحث التالي ـ بمشيئة الله تعالى ـ نعرض طرفاً من نصائح العلماء المعاصرين وتوجيهاتهم للمتعجلين ، علنا ننتصح ونعيد حساباتنا في أعمالنا ، والله المستعان .